تحرير فلسطين والتنمية :

قد لا يكون الترابط بين التنمية والتحرير واضحا لبعض من يعنون بهذين الشأنين . بل ان عددا ليس بقليل من المسؤولين العرب يتكلمون ويتصرفون كأن التنمية والتحرير أمران متناقضان لانهما ، كما يبدو لمن ينظر سطحيا الى الامور ، يتنافسان على نفس الموارد ويتنازعان جهد المجتمع واهتماماته . ولا بد من أجل التعرف الى هوية الجسر الذي يربط بين التنمية والتحرير ان يكون لدى المحلل أفق اجتماعي تقدمي والا حجبت رؤية هذا الجسر عن البصيرة . **أن جسر الترابط هو التحرر الاجتماعي** . فالتنمية تخدم هدف التحرير بفضل ما تحققه للانسان من تحرر مما يجعل المجتمع يصر على التحرير ويسعى اليه ويضحي من أجله رافضا أن يعيش في اطار غير اطاره . ولا يستطيع النمو الاقتصادي مهما بلغ شأنه في رفع الناتج القومي وتحسين مستوى الاداء الاقتصادي أن يحقق تحولات في المجتمع تحمله على الاصرار على التحرير ما لم ترافق هذا النمو وهذا الاداء تحولات علمية واجتماعية وسياسية ، تشكل في مجموعها محتوى التحرر ، وتتيح للمجتمع ان يلتزم بأهدافه بعقلانية وفاعلية ، مما يستطيع المجتمع معه أن يبلغ الرؤية القومية الصحيحة وأن ينهض بمسؤوليات التحرير ويتحمل تضحياته .

هذا الترابط بين التنمية والتحرير عبر التحرر ، مع عدم وضوحه لعدد من المعنيين بشأني التنمية والتحرير ، يظل أكثر وضوحا من دور التحدي المتمثل في السعي الى تحرير فلسطين في عملية التنمية . ان المقولة التي أطرحها هنا أن عملية تحرير فلسطين بدورها تفعل كمحرك ودافع للتنمية ، وبالتالي أن هناك تفاعلا تصاعديا ذا اتجاهين بين التحرير والتنمية مما يحدد طبيعة العلاقة بينهما كعلاقة جدلية . اما آلية فعل قضية فلسطين في عملية التنمية فيمكن وصفها بأنها تعمل باتجاه تحرير فلسطين من خلال سبل ثلاثة :

أ) الحاح منطق التحرير على ضرورة التحول ، والتحول السريع ، في النطاق العلمي والتكنولوجي والانمائي كما في النطاق العسكري والسياسي والاجتماعي .

ب) الحاح منطق التحرير على ضرورة حسن استخدام النفط والموارد النفطية كجهاز ضغط سياسي على القوى المساندة لاسرائيل ، مما يوجب تدعيم المنطلق الانمائي ليصبح هذا الجهاز الضاغط أكثر فاعلية بالنسبة لهدفه وأقل احتمالا للاضرار بالمصالح العربية التي تستخدمه .

ج) اثر بروز الروح النضالية التي تحرك الفلسطينيين والعرب في اتجاه التحرير ، في انتشار روحية النضال في النواحي الاخرى للحياة العربية ومنها السعي الى التنمية والتحرر .

يتضح من سياق البحث حتى الان أن الضرورة الاولى أي التحول الشامل أكبر شأنا بكثير من الضرورة الثانية أي استخدام النفط كرادع وضاغط سياسي ، لان اثر منطق التحرير والسعي الى التحرير على التحولات المشار اليها دائم وعميق ، في حين ان استخدام النفط كجهاز ضغط سياسي انما هو أمر عابر . أما اثر بروز الروح النضالية التحريرية على عملية التنمية والتحرر فسنعود اليه فيما بعد .

لعل أول ما يتبادر الى الذهن هنا هو خطورة اغفال دور تحدي التحرير في اطلاق عملية التنمية وخطر هذا الاغفال . فليس من قبيل الابتزاز أو الارهاب الفكري أن يشدد الفلسطينيون واخوانهم العرب المعنيون باخلاص بتحرير فلسطين على المخاطر الضخمة